

إلى جنة الخلد يا دكتور محمد زكي

سبحان الله. لا ينقضي العجب من حالنا في هذه الدنيا. كنتُ مساء يوم الأحد ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ، في مطار دولي عائداً للسعودية. وبينما كنت أتأمل في وجوه الغادين والرائحين في هذا المطار، وكأنهم يمثلون صورة مصغرة لحالنا في هذه الدنيا، حل وارتحال، باغتني في هذه الأثناء اتصال من مدير العيادات بمستشفى الزلفي العام، يخبرني بانتقال الدكتور محمد زكي (أخصائي الطب النفسي بالمستشفى) إلى رحمة الله إثر نوبة قلبية مفاجئة عن عمر يناهز الثامنة والخمسين. وقد أصبت بالذهول لوهلة من الوقت، ثم تماسكت بفضل الله، وطلبت من المدير تأجيل عيادتي المشتركة المجدولة مع د. محمد صبيحة السبت القريب لإشعار آخر.

لقد قدم الدكتور محمد زكي المولود بطنطا بمصر للعمل بمحافظة الزلفي منذ ما يقارب ربع قرن، وسعدت بمعرفته منذ ما يقارب الخمسة عشر عاماً. لكن توثقت علاقتنا كثيراً في السنين الخمس الأخيرة، مع انتظام عيادة الطبيب الزائر المشتركة معه بشكل شبه شهري. والله ما أسعدني بمعرفته، فقد كان نعم الطبيب الحكيم، حسن الخلق، لين الجانب، مخلصاً في عمله، وبنوياً بمفرده بخدمات الصحة النفسية في محافظة الزلفي وما جاورها لسنوات طوال، باذلاً جهده وصحته في خدمة الناس بشكل لا يجارى. ولم يُعهد عنه تأخر عن الدوام فضلاً أن يتغيب عنه طيلة سنوات عمله الطويلة التي شملت دواماً مستمراً بالنهار ومناوبة من منزله بالليل، ولذا فلا غرابة أن تأتيه المنية خلال بضع ساعات من علاجه لمريض قدم لطوارئ مستشفى الزلفي ليلة وفاته رحمه الله. وكان رحمه الله، يخلني بتواضعه الجم وأسلته الطبية المستمرة لي عما يشكل عليه، رغم أنني بسن أبنائه، بالإضافة لتنظيمه لعيادة الطبيب الزائر، المشتركة بيننا، والتي كان -غفر الله له- هو ركنها الرئيسي، وداعمها الحقيقي. ولما وقفت ظهيرة أمس، على شفير قبره -أنزل الله على ساكنه شأبيب رحمته- بمقبرة الزلفي الشمالية، هملت عيناى بالدموع، وأنا أتذكر ذكرياتنا معاً، وأتذكر لهفته لحضور حفل زفاف ابنته الكبرى المرتقب في عيد الفطر القادم، ولسان حالى يقول:

نُؤمِّلُ آمالاً وَنرجو نِتاجَها * * * وَعَلَّ الردى مِمَّا نُرجِيهِ أَقربُ

لقد اختاره الله لجواره في البلد الذي قضى فيه زهرة شبابه، وقد خرج لتشييعه جمع غفير من أهالي الزلفي، وألسنتهم تلهج بالدعاء له على جهوده العظيمة التي بذلها في علاج آلاف المرضى النفسيين من داخل محافظة الزلفي وخارجها طوال ربع قرن. وهنيئاً له، ففي الصحيحين: (أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ عليه بجنزة، فأثنوا عليها خيراً فقال: وجبت، وجبت. ومر عليه بجنزة فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، وجبت. فقبل يا رسول الله: ما قولك وجبت وجبت؟ قال: هذه الجنزة أثنتم عليها الخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنزة أثنتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض).

وأخيراً، أعزي بكل عبارات الأسى والمواساة، أهل أبي طارق وكل محبيه على فراقه. وأقول، لن ينساك يا أبا طارق، آلاف الناس الذين أدخلت السعادة إلى قلوبهم وبيوتهم بعد توفيق الله وإعانتة. وأزف البشري لمحبيه، بأن بعض الأطباء السعوديين من مواليد الزلفي- جزاهم الله خيراً- أزمعوا على إقامة وقف خيري صدقة عن أبي طارق، عرفاناً منهم لمآثره، وخدمته لأهالي الزلفي طوال سنين عمره المهني. غفر الله له، ورفع درجته في عليين، وأخلفه في عقبه، وأسكنه فسيح جنانه.

وكتبه/ فهد بن دخيل العصيمي
الزلفي

غرة شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٣٦ للهجرة